بلا قيمة !!

تحت اللوح الزجاجي لسطح مكتبي قبع مستكيناً خامداً بعد أن أصبح بلا قيمة !! منذ أن فقد حيويته وتداوله في سوق الأوراق النقدية، حينما أصدر بطرس غالي وزير المالية في العصر البائد قراراً بوقف تعامله، واستبداله بالعملة المعدنية، فتحول إلى تذكار وضعته تحت اللوح الزجاجي لسطح المكتب، تطالعه عيون المترددين على مكتبي تترحم وتتحسر على مجده التليد، وتستعيد معي ذكريات عصره المجيد! عندما كان سيد العملات في العهد الملكي، وتتخطى قيمته قيمة الجنيه الذهب !! ويعلو على الاسترليني والدولار، ولا تنازعه عملة في قيمته !!

« معايا ريال، معايا ريال، دا مبلغ عالي ومش بطال !! »

هكذا تغنت فيروز بخمس قيمته في ذلك العهد الذي كانت قيمته تصل إلى ألف مليم تتداول في الأسواق، ثم

بـدأ خفوتـه مـع قيـام ثـورة يوليـو، فاختفـى المليـم وحـل محلـه القـرش صـاغ والتعريفـة ولكنـه لم يفقـد هيبتـه بـين الـدول وأمـام العمـلات .

« أنـا هـا أرهنـك يـا أفلاطـون أفنـدي بعـشر تـلاف جنيـه، ووريني ازاى هـا تقـدر تصرفهـم في شـهر !!»

وعجـز سي أفلاطـون أفنـدي (إسـماعيل يـس) بطـل الفيلـم في أن يصرفهـم في الشـهر، رغـم التبذيـر والإسراف والبـذخ الشـديد!! وضرب محـاوري الـذي كان يسـتعيد معـي ذكريـات تلـك الأيـام الخـوالي مثـلاً، أن شـكري سرحـان لـو راهنـه الآن عـلى عـشرة مليـون جنيـه سـوف يصرفهـم أفلاطـون أفنـدي في سـاعة وليـس في يـوم !! شـقة في حـيٍ راقـي بخمسـة مليـون جنيـه، وأثـاث وتحـف بمليـون، وسـيارات فارهـة وملابـس وعشـاءٌ طائـر ممـاً يسـتحضره رجـال الأعـمال بالطائـرة مـن أحـد مطاعـم باريـس أو رومـا، لـن يتبقـى مـن المبلـغ شـيئاً !!

وأخـذت أتحـسر وألعن هـؤلاء الساسـة الذيـن أضاعـوا هيبة الجنيـه، منـذ أن أنتهـج أنـور السـادات سياسـة الانفتـاح، وطبـع أمـوالاً طائلـة مـن خلـف صنـدوق النقـد الـدولي .. أسـعدت الشـعب ورفهتـه، فقـد الجنيـه المـصري قيمتـه، إلى أن صمـم أولاد مبـارك عـلى تعويمـه رغـم تحذيـر الاقتصاديـون لهـم، فأصبـح بـلا قيمـة، حتـى جـاء جهبـذي الاقتصـاد بطـرس

غـالي فقـضى عليـه، وجعلـه ذكـرى تحـت زجـاج مكتبـي، أو داخـل محفظـة غـيري

وأخـذت أفكـر في هـذا التدهـور الـذي حـدث لـه، فمنـذ العـصر الملكـي الـذي كان فيـه سـلطاناً عـلى العمـولات، ومواردنـا كـما هـي لم تتغـير !! فنحـن لم نغـزو الفضـاء، ولم نصنع سـلاح أو سـيارات أو طائـرات، أو نقتحـم عـالم الإكترونيـات والأجهـزة الحديثـة !! كـما فعلـت الصـين ودول شرق أسـيا !!

ثلاثـون عامـاً تدهـورت فيـه قيمـة الجنيـه منـذ أن تبنـى حسـني وأولاده وعصابتـه سياسـة الخصخصـة، وبيـع مصانـع المنسـوجات القطنيـة وشركات أيديـال التـي كانـت تصـدر الأجهـزة المنزليـة، وبـوروا الأرض الزراعيـة فأوصلونـا لهـذا المسـتوى الـذي أصبـح فيـه الجنيـه لاتشـتري بـه باكـو بسـكوت أو كيـس شـبسي !! فالتهنـأ أيهـا الجنيـه برقدتـك الأبديـة تحـت اللـوح الزجاجـي، أو داخـل محفظة تشـهد عـلى هـؤلاء العصابة، بأنهـا أضاعـت هيبتـك، وجعلتـك تـذكاراً لتـك الأيـام الخـوالي التـي كنـت فيهـا سـيداً وسـلطاناً عـلى كل عمـلات الدنيـا !!

القاهرة في / ٧ – ٢ – ٢٠١٦